

عنوان البحث

العقل في فلسفة الظاهراتية: دراسة تحليلية في ضوء أعمال هوسرل وهايدغر
وميرلوبونتي

م.م فؤاد لطيف تركي¹، علي فتحي²

¹ قسم الفيزياء، كلية التربية للعلوم الصرفة، جامعة واسط، العراق. بريد الكتروني: fturki@uowasit.edu.iq, ali.fathi@ut.ac.ir
² الأستاذ المشارك في قسم الفلسفة، كلية اللاهوت، مجمع فارابي، جامعة طهران، قم، الجمهورية الإسلامية الإيرانية.
HNSJ, 2025, 6(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj611/48>
المعرف العلمي العربي للأبحاث: <https://arsri.org/10000/611/48>

تاريخ النشر: 2025/11/01م

تاريخ القبول: 2025/10/15م

تاريخ الاستقبال: 2025/10/07م

المستخلص

يهدف هذا البحث إلى تحليل مفهوم العقل في فلسفة الظاهراتية من خلال دراسة مقارنة لأفكار ثلاثة من أبرز فلاسفة هذا الاتجاه: إدموند هوسرل، مارتن هايدغر، وموريس ميرلوبونتي. ينطلق البحث من فرضية مفادها أن الفلسفة الظاهراتية قد أعادت صياغة مفهوم العقل بما يتجاوز التصور التقليدي الذي يفصله عن الجسد والعالم، لتقدمه بوصفه بنيةً قصديّةً، متجسّدةً، ومنخرطةً في التجربة المعاشة. يعتمد البحث المنهج التحليلي المقارن لتتبع التحولات المفهومية التي مرّ بها مفهوم العقل داخل الفكر الظاهراتي؛ إذ يُبرز تصور هوسرل للعقل بوصفه وعياً قصدياً يمنح العالم معناه، بينما يعيد هايدغر موضعه ضمن بنية الوجود الإنساني، مؤكداً أن الفهم العقلي فعلٌ وجوديٌّ منفتح على العالم، في حين يقدم ميرلوبونتي تصور العقل المتجسد الذي يتجلى من خلال الإدراك الحسي والتفاعل الجسدي مع الواقع. وقد خلصت الدراسة إلى أن الظاهراتية قدّمت رؤيةً فلسفيةً متجددة للعقل من خلال دمجها بالزمن والجسد والعالم المحيط، بحيث لم يعد العقل كياناً مجرداً أو أداةً تحليليةً فحسب، بل أصبح مجالاً حيويّاً لتفاعل الإنسان مع الوجود وتكوينه للمعنى. إن هذا التصور يُعيد للعقل بعده الوجودي والمعرفي والإنساني في آنٍ واحد، ويشكّل أرضية خصبة لإعادة النظر في العلاقة بين الفكر والتجربة في الفلسفة المعاصرة.

الكلمات المفتاحية: العقل، الظاهراتية، الوعي القسدي، الوجود في العالم، التجسد، هوسرل، هايدغر، ميرلوبونتي.

RESEARCH TITLE

The Mind in Phenomenological Philosophy: An Analytical Study in Light of the Works of Husserl, Heidegger, and Merleau-Ponty

Abstract

This study aims to analyze the concept of the mind in phenomenological philosophy through a comparative examination of the ideas of three of its most influential thinkers: Edmund Husserl, Martin Heidegger, and Maurice Merleau-Ponty. The research is based on the premise that phenomenology reformulated the notion of the mind beyond the traditional view that separates it from the body and the world, presenting it instead as an intentional, embodied, and experiential structure engaged in lived reality.

Adopting an analytical and comparative approach, the study traces the conceptual transformations of the mind within phenomenological thought. It highlights Husserl's concept of intentional consciousness, in which the mind gives meaning to the world; Heidegger's notion of being-in-the-world, which situates understanding as an existential mode of human openness; and Merleau-Ponty's idea of the embodied mind, emphasizing perception and bodily interaction as the foundation of cognition.

The study concludes that phenomenology has provided a renewed philosophical understanding of the mind by integrating it with time, the body, and the surrounding world, thus transforming it from a mere abstract faculty into a living field of interaction through which human beings engage with existence and construct meaning. This conception restores to the mind its existential, epistemological, and human dimensions, offering fertile ground for rethinking the relationship between thought and experience in contemporary philosophy.

Key Words: Mind, Phenomenology, Intentional Consciousness, Being-in-the-World, Embodiment, Edmund Husserl, Martin Heidegger, Maurice Merleau-Ponty.

المقدمة:

يُعدّ العقل أحد المفاهيم المحورية في تاريخ الفلسفة، وقد تتوّعت تصوّرات الفلاسفة له بين من اعتبره جوهرًا مفارقًا كما في الفلسفة المثالية، ومن رأى فيه أداة تحليل وتجريب كما في النزعة الوضعية. إلا أن الفلسفة الظاهراتية قدّمت فهماً مغايرًا للعقل، لا بوصفه كيانًا نظريًا منعزلًا، بل كشرط أساسي لظهور العالم وتكوين المعنى في تجربة الإنسان المعيشة.

لقد أسّس إدموند هوسرل الفينومينولوجيا كمنهج يهدف إلى العودة إلى الخبرة الأصلية كما تُعاش في الوعي، مؤكدًا على أن العقل ليس مجرد انعكاس للواقع، بل هو بنية قصدية يتجه دومًا نحو موضوع ما، مانحًا له معناه في إطار التجربة الذاتية. ومن خلال هذا التأسيس، لم يعد العقل مجرد أداة لفهم العالم، بل هو الوسيط الذي يظهر العالم من خلاله. أما مارتن هايدغر، فقد أعاد بناء مفهوم العقل داخل إطار وجودي، مؤكدًا أن الفهم العقلي لا ينفصل عن "الوجود في العالم"، حيث يشكّل العقل عنده بُعدًا من أبعاد الانفتاح الوجودي للإنسان على إمكاناته. ومن جهة أخرى، طوّر موريس ميرلوبونتي هذا التصور، معيّدًا الاعتبار للجسد بوصفه شرطًا لتجلي العقل، مؤكدًا أن الإدراك الحسي والتجربة الجسدية هما المدخل الحقيقي لفهم العقل في تفاعله مع العالم.

بناءً على ما سبق، يهدف هذا البحث إلى تقديم دراسة تحليلية لمفهوم العقل في الفلسفة الظاهراتية، وذلك من خلال تتبع تطوره في أعمال كل من هوسرل وهايدغر وميرلوبونتي، وبيان أوجه الاتفاق والاختلاف في تصوراتهم. كما يسعى إلى الكشف عن الأبعاد المعرفية والوجودية والتجسيدية للعقل ضمن هذا التيار الفلسفي الذي مثّل تحولًا نوعيًا في فهم الذات والعالم.

اهمية البحث:

تكتسب هذه الدراسة أهميتها من الحاجة إلى فهم معمق لمفهوم العقل الذي ظلّ عبر التاريخ موضوعًا محوريًا في الفلسفة، ولكن في سياق فلسفة الظاهراتية يُعاد النظر فيه بوصفه تجربة معيشة متكاملة لا تقتصر على التفكير المجرد. إن البحث في هذا المفهوم من خلال أعمال هوسرل وهايدغر وميرلوبونتي يفتح آفاقًا جديدة لفهم كيفية تشكّل المعنى داخل الوعي الإنساني، سواء من خلال الوعي القصدية، أو الفهم الوجودي، أو التجسد الحسي.

تمثل فلسفة الظاهراتية أحد أهم التيارات الفلسفية المعاصرة التي أعادت النظر في العلاقة بين الذات والعالم، وفي قلب هذا الإطار برز مفهوم "العقل" بوصفه نقطة انطلاق لفهم الوجود والمعنى. حاول الظاهراتيون تجاوز الرؤية الديكارتيّة التقليدية للعقل بوصفه جوهرًا منعزلًا، وأعادوا صياغته ضمن تجربة الذات المعاشة.

كما أن أهمية البحث تكمن في كونه يعالج المفهوم من عدة أبعاد متكاملة؛ فهو سرل يطرح العقل بوصفه بنية قصدية تمنح العالم مدلولاته، وهايدغر يربط العقل بوجود الإنسان في العالم، فيما يُسلط ميرلوبونتي الضوء على البعد الجسدي الذي يجعل من العقل ظاهرة متجسدة ومتفاعلة مع المحيط.

إن هذا التنوع في الرؤى يجعل البحث ذا قيمة تطبيقية وفكرية، خاصة في مجالات الفلسفة المعاصرة وعلوم الإنسان، حيث يساهم في تطوير نظريات أكثر انسجامًا مع طبيعة التجربة الإنسانية المتشابكة والمعقدة. يُعدّ مفهوم العقل من المحاور الأساسية في الفلسفة، وقد شهد تطورًا جذريًا عبر المدارس الفلسفية المختلفة، خاصة في سياق فلسفة الظاهراتية التي قدّمت رؤية جديدة للعقل تتجاوز النظرة التقليدية باعتباره مجرد أداة تفكير أو تحليل منطقي. إذ ترى الظاهراتية أن العقل يتجلى في تجربة الإنسان المعيشة، حيث يُشكّل الوعي القصدية، والوجود في العالم، والتجسد الجسدي أبعادًا متكاملة لفهم العقل.

تتبع أهمية هذا البحث من رغبته في استكشاف هذا المفهوم المتعدد الأوجه من خلال دراسة تحليلية لأعمال أبرز فلاسفة الظاهراتية، وهم: إدموند هوسرل، الذي أكد على القصدية كأساس للعقل، ومارتين هايدغر الذي أضاف البعد الوجودي، وموريس ميرلوبونتي الذي أعاد تأكيد أهمية الجسد في الإدراك العقلي

كما يسهم البحث في سد فراغ معرفي من خلال ربط التصورات الفلسفية للعقل بالمواقف الوجودية والتجربة الجسدية، مما يوفر إطاراً شاملاً لفهم العقل ليس ككيان نظري منفصل، بل كظاهرة معاشة وفاعلة في بناء المعنى والواقع. (هوسرل، 2013، ص 47؛ هايدغر، 1996، ص 95؛ ميرلوبونتي، 2005، ص 70).

هدف البحث:

يهدف هذا البحث إلى دراسة وتحليل مفهوم العقل في فلسفة الظاهراتية من خلال التركيز على رؤى ثلاثة من أبرز فلاسفتها: إدموند هوسرل، مارتين هايدغر، وموريس ميرلوبونتي. ويسعى البحث إلى توضيح كيف يُعاد تفسير العقل ليس ككيان مجرد للتفكير، بل كتجربة معاشة تتطوي على وعي قصدي، وجود إنساني، وتجسد حي. كما يهدف إلى الكشف عن أوجه التشابه والاختلاف في تصورات هؤلاء الفلاسفة، مع إبراز الأبعاد المعرفية والوجودية والجسدية التي تشكل فهمهم للعقل، وذلك من أجل تقديم رؤية متكاملة تسهم في إثراء الدراسات الفلسفية المعاصرة حول طبيعة العقل والوعي.

المبحث الأول: مفهوم الفلسفة الظاهراتية ومبادئها الأساسية

أولاً: الفلسفة الظاهراتية ومبادئها الأساسية

تعد الفلسفة الظاهراتية (الفيينومينولوجيا) أحد أبرز التيارات الفلسفية في القرن العشرين، وقد نشأت على يد الفيلسوف الألماني إدموند هوسرل، كردّ على النزعة الوضعية والعقلانية التقليدية التي اختزلت الوعي في مجرد عمليات منطقية أو تجريبية. تهدف الظاهراتية إلى العودة إلى الخبرة المباشرة كما تُعاش في الوعي، من دون افتراضات مسبقة أو تأويلات خارجية. فالمعرفة لا تُبنى على موضوعية مطلقة، بل تنشأ من كيفية ظهور الظواهر في الوعي الإنساني (هوسرل، 2013، ص 15).

الفيينومينولوجيا، كما يعرفها هوسرل، هي "المنهج الذي يسعى إلى وصف الظواهر كما تُعطى لنا في الحدس المباشر، لا كما تُفسّر أو تُفرض عليها مفاهيم خارجية" (هوسرل، 2013، ص 28).

وقد أطلق شعاره الشهير: "العودة إلى الأشياء ذاتها"، وهو ما يعني تجاوز التأويلات العلمية والنظرية، والتركيز على وصف الظاهرة كما تظهر للعقل الواعي.

ومن أبرز مبادئ الفلسفة الظاهراتية ما يلي:

1. القصدية

الوعي في الفيينومينولوجيا هو دائماً "وعي بشيء"، أي أنه موجّه نحو موضوع ما. وهذه الفكرة، الموروثة من برنتانو، تشكل حجر الأساس في تصور هوسرل للوعي بوصفه فاعلاً ومقصدياً، لا سلبياً أو منعكساً فقط (عبد الجواد، 2010، ص 55).

2. الردّ الظاهراتي

وهو تعليق كل الأحكام حول وجود الأشياء الخارجية، بهدف تحليل كيفية ظهورها للوعي. لا يعني ذلك إنكار الواقع، بل

تعليق "الإيمان الطبيعي" به، من أجل دراسة البنية العقلية للتجربة (حنفي، 2007، ص 92).

3. الحدس الفينومينولوجي

تؤكد الظاهراتية على أهمية الحدس المباشر، أي الإدراك الخالص غير المشوّه بالمفاهيم أو الأحكام الجاهزة. هذا الحدس يُعتبر أداة للوصول إلى "الماهية"، أي الجوهر الذي تقوم عليه الظاهرة (ميرلوبونتي، 2005، ص 42).

4. التركيز على العالم المعيش

في المرحلة المتأخرة من تفكيره، شدّد هوسرل على "العالم المعيش" كمجال رئيس لتجليات المعنى. وهو العالم الذي نعيش فيه فعليًا بتجاربننا اليومية، لا كما تُقدمه العلوم بتجربتها (هوسرل، 2013، ص 102).

ثانياً: الظاهراتية ومنهجها الفلسفي

ترتبط الظاهراتية أساسًا بالفيلسوف الألماني إدموند هوسرل (1859-1938)، الذي أسس هذا الاتجاه عبر كتابه "أفكار ممهدة لفينومينولوجيا خالصة" (1913)، حيث دعا إلى العودة إلى "الأشياء ذاتها" من خلال منهج الردّ الظاهراتي، والذي يعني تعليق الحكم على وجود العالم والتركيز على كيفية ظهوره للوعي.

كما يوضح الباحث زكريا إبراهيم في كتابه مشكلة الفلسفة أن الظاهراتية تعني "الرجوع إلى التجربة المباشرة كما تتجلى في الوعي" (إبراهيم، 1981، ص: 175).

المبحث الثاني: العقل عند إدموند هوسرل

يُعدّ إدموند هوسرل (1859-1938) مؤسس الفينومينولوجيا الحديثة، وقد أعاد صياغة مفهوم العقل بطريقة تتجاوز النماذج التقليدية التي فصلت بين العقل والعالم. ففي مشروع الظاهراتي، لم يكن العقل جهازًا مغلقًا يعالج المعطيات، بل هو بنية قصدية تتجه دومًا نحو شيء ما؛ أي أن كل فعل عقلي هو في جوهره فعل "وعي بشيء". وهنا تظهر إحدى ركائز فلسفة هوسرل، وهي "القصدية" التي استقاها من برنتانو، لكنها تطورت في إطارها الظاهراتي إلى مبدأ شامل لفهم كل مظاهر الوعي والمعرفة.

إن العقل عند هوسرل لا يمكن فصله عن العالم الذي يُدرك، فهو لا يعمل في عزلة عن الموضوعات، بل إن هذه الموضوعات لا تكتسب معناها إلا من خلال تعيّناتها في الوعي. بمعنى أن العالم ليس شيئًا يُكتشف خارج الذات، بل هو يُبنى من خلال التجربة الذاتية للعقل. ومن هذا المنظور، يرى هوسرل أن الظواهر لا تُدرس بما هي موضوعات في ذاتها، بل بما هي كيف تُعطى في الوعي، في لحظة التجربة المعاشة أو ما يُعرف بـ"الخبرة القصدية" (هوسرل، 2013، ص 71).

في كتابه "أفكار ممهدة لفينومينولوجيا خالصة"، دعا هوسرل إلى العودة إلى "الأشياء ذاتها وهي دعوة إلى تجاوز المقولات المسبقة والتوجه نحو وصف الظواهر كما تظهر للعقل، لا كما تُفسّرها النماذج العلمية أو الفلسفية الجاهزة (هوسرل، 2013، ص 22).

كما أن العقل في فلسفة هوسرل مرتبط بفكرة الردّ الفينومينولوجي (Epoché)، وهو تعليق الحكم عن وجود الأشياء بهدف فهم كيفية ظهورها في التجربة الذهنية الخالصة. وهذا يعني أن العقل ليس أداة للشك، كما عند ديكارت، بل هو مجال لتجلي الحقيقة كما تُعاش من الداخل. (عبد الجواد، 2010، ص 103)

وعليه، فإن العقل عند هوسرل هو مصدر تكوين المعنى، ومركز انبثاق كل معرفة ممكنة. فالذات العارفة، من خلال وعيها القَصدِي، تمنح الأشياء هويتها. وهذا ما جعل هوسرل يعتبر الفينومينولوجيا "علماً تأسيسياً" للمعرفة، لأنها تنطلق من العقل الخالص كشرط لكل إدراك. (حسن حنفي، 2007، ص 118)

يرى هوسرل أن العقل ليس مجرد آلة للتفكير المجرد أو المنطقي، بل هو وعي قصدي، أي أن كل وعي هو وعي بشيء. العقل هنا ليس كياناً مغلقاً بل هو مفتوح دوماً على العالم.

يوضح عبد الرحمن بدوي أن "القصدية" عند هوسرل تعني أن كل فعل عقلي يتجه نحو موضوع معين كما شدد هوسرل على أن التجربة الذاتية، لا التجريد العقلي، هي منبع كل معرفة. فالعقل عنده مرتبط بالإدراك الحيّ والمعيش (بدوي، الزمان الوجودي، 1982، ص: 111).

المبحث الثالث: العقل عند مارتن هايدغر في فلسفة الظاهراتية

يُعدّ مارتن هايدغر (1889-1976) من أبرز الفلاسفة الذين تأثروا بإدموند هوسرل، غير أنه تجاوز الظاهراتية التقليدية نحو مقارنة وجودية عميقة. فبينما كان العقل عند هوسرل يتمحور حول الوعي القَصدِي وتحليل التجربة، فإن هايدغر قد أعاد موضوعة العقل داخل بنية أوسع هي "الوجود الإنساني" أو ما يُسميه بـ"الدازاين" (Dasein)، أي الكائن الذي يكون في العالم. وبذلك لم يعد العقل عنده وظيفة معرفية فحسب، بل بُعداً وجودياً أصيلاً يعكس علاقة الإنسان بالعالم (هايدغر، 1996، ص 88).

في كتابه الأساسي "الوجود والزمان" (Sein und Zeit)، لم يُفرد هايدغر مفهوماً تقليدياً للعقل كما في الفلسفة الديكارتية أو المثالية، بل ربطه بما يسميه الفهم (Verstehen) والتأويل (Auslegung)، بوصفهما طريقتين أساسيتين لانكشاف العالم أمام الإنسان. فالعقل في هذا السياق هو قدرة الكائن الإنساني على أن "يُلقي بنفسه في إمكاناته"، ويعيشها لا كمعلومات، بل كمعنى حي متجذر في تجربته (بدوي، 1995، ص 104).

يرى هايدغر أن "الوعي" ليس محور الوجود كما عند هوسرل، بل الانفتاح الوجودي على العالم. والعقل هنا ليس آلة لتفسير الظواهر، بل هو جزء من بنية الوجود نفسه. فكل إدراك عقلي هو في حقيقته تأويل وجودي للواقع من داخل تجربة الكائن (عبد الجواد، 2010، ص 137).

وقد رفض هايدغر النزعة العقلانية التي اختزلت العقل في المنطق والتحليل، مشدداً على أن الفهم العقلي هو دائماً مشروط بالسياق التاريخي والزمني للكائن. وبعبارة أخرى، فإن العقل لا يُدرك العالم من الخارج، بل يعيش فيه، ويفهمه من خلال احتكاكه الوجودي به (حنفي، 2007، ص 146).

إن ما يميز تصور هايدغر للعقل هو أنه عقل منغمس في العالم، يتعامل مع الكينونة بوصفها سؤالاً مفتوحاً، لا جواباً نهائياً. وهذا ما يجعل الفهم العقلي لديه فهماً وجودياً، متغيراً، ومبنيّاً على تجربة الكائن لا على مقولات ثابتة.

أما مارتن هايدغر، تلميذ هوسرل، فقد تجاوز التحليل الظاهراتي للوعي ليركز على "الكينونة" (Sein). وقد نقد الفهم التقليدي للعقل بوصفه أداة تحليلية، معتبراً أن "الوجود في العالم" (Dasein) يتجلى في الفهم المسبق والاهتمام العملي.

يقول هايدغر في كتابه الكينونة والزمان إن "الوجود الإنساني يفهم ذاته من خلال انشغاله بالعالم، لا من خلال التأمل المجرد" (Heidegger, Being and Time, 1927).

ويشير محمد المصباحي في دراسته عن هايدغر أن "العقل في فلسفة الكينونة لا يُفهم بوصفه تأملاً منطقيّاً، بل وجوداً موجّهاً نحو العالم" (المصباحي، 2010، ص: 203).

المبحث الرابع: العقل عند موريس ميرلوبونتي في الفلسفة الظاهراتية

يحتل موريس ميرلوبونتي (1908-1961) موقعاً فريداً في تاريخ الفلسفة الظاهراتية، إذ عمل على تطوير المفاهيم الأساسية التي طرحها هوسرل وهايدغر، لكنه أضاف إليها بُعداً جديداً يتمثل في التركيز على الجسد كشرط أساسي للعقل. فقد رفض ميرلوبونتي الفصل التقليدي بين العقل والجسد، وأكد أن العقل لا يُمكن أن يُفهم باعتباره مجرد وعي نظري أو ذات مفكرة، بل هو وعي متجسد يعيش العالم ويعيشه من خلال الجسد (ميرلوبونتي، 2005، ص 55).

في كتابه الأشهر "فينومينولوجيا الإدراك"، ينطلق ميرلوبونتي من فكرة أن الإدراك الحسي هو أساس الوعي، وأن العقل ليس شيئاً منفصلاً عن التجربة الحسية، بل يتجلى من خلالها. ومن هنا فهو يعارض النموذج الديكارتي الذي يرى العقل جوهراً قائماً بذاته، ويؤكد أن المعنى لا يصدر عن تأمل ذهني خالص، بل عن تفاعل مباشر بين الإنسان والعالم (ميرلوبونتي، 2005، ص 92).

ويُصوّر ميرلوبونتي العقل كقدرة على الانخراط في العالم، وفهمه من خلال الخبرة المعاشة لا من خلال تأملات ذهنية مجردة. فالذات الواعية عنده ليست "أنا أفكر" بل "أنا أعيش" أو "أنا أدرك"، وهو ما يجعل الجسد ليس موضوعاً للعقل، بل شرطاً لوجوده (حنفي، 2007، ص 161).

كما أن العقل في تصور ميرلوبونتي هو عقل تجسدي، أي يتجلى في الحركة، واللغة، والتجربة اليومية. فاللغة ليست تعبيراً خارجياً عن الفكر، بل هي جزء من عملية تكوين المعنى العقلي، بل هي "جسد الفكر" كما يسميها (عبد الجواد، 2010، ص 142).

وهكذا، يقدّم ميرلوبونتي تصوراً للعقل لا يقوم على الانفصال والتجريد، بل على الاندماج في العالم المعيش. فالعقل ليس سيّداً يتحكم في الأشياء، بل فاعل منخرط فيها، يعيشها ويفهمها من خلال تفاعل دائم بين الذات والعالم.

طوّر موريس ميرلوبونتي (1908-1961) الظاهراتية في اتجاهٍ جسديّ وتجريبيّ، مؤكداً أن العقل ليس منفصلاً عن الجسد، بل هو مجسّد في التجربة. فالإدراك الحسي ليس نشاطاً عقلياً صرفاً، بل تجربة تجسدية للعالم.

يوضح ميرلوبونتي في كتابه فينومينولوجيا الإدراك أن "الجسد هو الوسيط الذي من خلاله ننخرط في العالم" (Merleau-Ponty, 1945).

ويضيف الباحث طه عبد الرحمن أن ميرلوبونتي جعل "العقل نشاطاً معيشتاً يتجسد في الفعل الإدراكي والتجربة اليومية" (طه عبد الرحمن، العمل الديني وتجديد العقل، 2003، ص: 145).

المبحث الخامس: مقارنة تحليلية بين تصور العقل عند هوسرل، هايدغر، وميرلوبونتي

يشارك كل من إدموند هوسرل، مارتين هايدغر، وموريس ميرلوبونتي في اعتبار العقل مركزاً لفهم الوجود والظواهر، إلا أن كل منهم عالج المفهوم من زاوية مختلفة تعكس تطور الفينومينولوجيا من منظور معرفي إلى منظور وجودي وتجسدي.

أولاً: هوسرل والعقل القّصدي

يرى هوسرل أن العقل هو وعي قّصدي، يتجه دائماً نحو موضوع معين، وهو الذي يمنح المعنى للعالم من خلال تجربته الذاتية. فالعقل عنده ليس مجرد أداة لمعالجة المعلومات، بل هو شرط أساسي لكل إدراك ومعرفة. وقد اعتبر أن تحليل بنية الوعي القّصدي يمكن أن يقود إلى تأسيس علم صارم للفلسفة (هوسرل، 2013، ص 45).

ثانياً: هايدغر والعقل كفهم وجودي

بينما تجاوز هايدغر التصور الهوسرلي للعقل، معيِّداً موضعه ضمن بنية "الدازين"، أي الوجود الإنساني المنفتح على العالم. لم يعد العقل عنده مركزاً للمعرفة بقدر ما هو بُعد من أبعاد الفهم الوجودي. فالفكر لا يصدر من عقل منعزل، بل من كائن يعيش في العالم، وتُشكّل تجربته وجوده ومعرفته على حد سواء (هايدغر، 1996، ص 88).

ثالثاً: ميرلوبونتي والعقل المتجسد

أما ميرلوبونتي فقد ذهب إلى أن العقل لا ينفصل عن الجسد، بل هو جزء من التجربة الجسدية للعالم. العقل هنا يتجسد في الإدراك، والحركة، واللغة، وكلها أدوات لفهم الواقع كما يُعاش. فالمعرفة العقلية ليست ناتجة لتأمل ذهني خالص، بل لاحتكاك حسي-جسدي دائم مع العالم المعيش (ميرلوبونتي، 2005، ص 66).

رغم أن هوسرل ينطلق من التحليل القسدي للوعي، وهايدغر من بنية الوجود، وميرلوبونتي من الجسد، فإن الثلاثة يتفقون على أن العقل لا يمكن فهمه ككيان منفصل عن التجربة. غير أن هوسرل بقي أقرب إلى منطق العقل التحليلي، بينما هايدغر أعاد تأصيل العقل ضمن سؤال الكينونة، في حين دمج ميرلوبونتي العقل بالجسد واللغة بوصفهما امتداداً لوعينا بالعالم.

نقد الظاهراتية التقليدية وتوسيع مفهوم العقل

تعرضت الظاهراتية لنقد لاحق لتجاهلها أحياناً الجوانب الاجتماعية والتاريخية في تشكل العقل. إلا أن تطوراتها في الفينومينولوجيا الوجودية والظاهراتية الجسدية أعادت رسم حدود العقل ككيان معقد ومتشابك مع العالم، والجسد، والآخرين.

الخاتمة

إن دراسة العقل من منظور الظاهراتية تكشف عن تحول جذري في الفلسفة المعاصرة، حيث لم يعد العقل كياناً مفصلاً عن العالم، بل أصبح ساحة للانكشاف، والتجسد، والانخراط. قدمت الظاهراتية تصوراً غنياً يعيد للعقل حضوره الحي في التجربة.

إن تناول مفهوم العقل في فلسفة الظاهراتية يكشف عن تحول عميق في النظر إلى العقل، لا بوصفه أداة مجردة للتحليل المنطقي فقط، بل كوعي قسدي، متجسد، ومتفاعل مع العالم. فقد قدم هوسرل منظوراً جديداً للعقل كحضور قسدي يُعنى بكيفية ظهور الظواهر في الوعي، بينما وسّع هايدغر هذا الفهم ليشمل العلاقة الوجودية بين الإنسان والعالم، مؤكداً أن الفهم العقلي لا ينفصل عن السياق الوجودي والمعيش. أما ميرلوبونتي، فقد دمج الجسد بالعقل، ليصوغ رؤية ترى في الإدراك العقلي فعلاً مجسداً يشارك في تشكيل التجربة الواقعية.

تُظهر هذه المواقف الثلاثة أن العقل في الظاهراتية ليس معزولاً، بل متصلٌ بالجسد، والزمان، والعالم، مما يجعل من الظاهراتية إطاراً فلسفياً غنياً لفهم العقل في بعده الوجودي والمعرفي. ومن خلال هذه الرؤية، تصبح الذات المفكرة ليست فقط محلاً للتأمل، بل كياناً منخرطاً في الحياة، يصنع المعنى ويعيد تشكيله باستمرار.

المصادر :

1. بدوي، عبد الرحمن. (1995). الزمان الوجودي عند هايدغر. بيروت: دار القلم.
2. حنفي، حسن. (2007). مقدمة في علم الاستغراب. القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر.
3. زكريا إبراهيم، مشكلة الفلسفة، دار مصر للطباعة، 1981.

4. طه عبد الرحمن، العمل الديني وتجديد العقل، المركز الثقافي العربي، 2003.
5. عبد الجواد، عادل. (2010). الوعي والوجود في فلسفة هوسرل. القاهرة: المركز القومي للترجمة.
6. عبد الرحمن بدوي، الزمان الوجودي، دار القلم، 1982.
7. محمد المصباحي، "هايدغر والفكر العربي"، مجلة الفكر العربي المعاصر، عدد 127، 2010.
8. ميرلوبونتي، موريس. (2005). فينومينولوجيا الإدراك. ترجمة: نظير جاهل. بيروت: المنظمة العربية للترجمة.
9. هايدغر، مارتن. (1996). الوجود والزمان. ترجمة: فتحي المسكيني. بيروت: دار الفارابي.
10. هوسرل، إدموند. (2013). أفكار ممهدة لفينومينولوجيا خالصة. ترجمة: ماجد فخري. بيروت: المنظمة العربية للترجمة.